نظام

ديوان الاستخبار في الهند

في عهد المغفلين

لسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

إن ما يسقم به سعد الدول فيُضاعف بلاءها ، ويرسو به دعائم الحكومات فيمرع جنابها ، هو قيام العدل واستتباب الأمن ، ولا أمن اذا لم يكن هناك عدل ، كما انهُ لا عدل اذا لم يستتبّ أمن ، فان الأمن نتيجة العدل وثمرته كما ان العدل بعته وأصله . ولذلك فاقامة العدل أول خطوة تخطوها الدول والحكومات لتثبيت قواعدها واضراد نسيمها وأول غاية يتوخاها النافع والمستعمر لرسوخ القدم في البلاد وجني ثمارها

ولكن إقامة العدل او استتباب الأمن ليس شيئاً يسيرَ المنال يرجى هيناً ويبتغى سهلاً ، لأنهُ يتوقف على سبر غور الأمور باستخبار الحوادث واستباء الوقائع واستطلاع أسبابها وعواملها واستقصاء ظواهرها وبواطنها . فلذلك جرت السنة من القدم عند الدول والحكومات ان تنشيء ادارة او ديواناً خاصًّا لمعرفة أحوال البلاد

جازت تلك الادارة منذ ولادتها في التاريخ أطواراً مختلفة من التقلب والتقدم كما هو حال كل عمل انساني حتى وصلت في العصر الحاضر الى ما أفضجهُ انجاوب وخبرتهُ البصيرة وأخلص جوهره الجد ومحجم عوده الفكر ، فكان في الهند مثلاً قبل ان يفتتحها المسلمون ادارة واسعة النطاق وافرة الأعضاء لقلم الاستعلامات ، ولكنها كانت بعد في دور التكون والتطور إذ كان الاعتماد في أكثر أعمالها على نقل الاخبار وسرد الروايات شفاهةً . وكان ينقسم أعضاؤها الى قسمين . المتكرين وغير المتكرين . أما القسم الأول فكان يشمل جميع الجواسيس والمخبرين المنتشرين في طول البلاد وعرضها . وكان واجبهم اعلام حكامهم بكل صغيرة وكبيرة حدثت في البلاد . وأما الثاني فكان يحتوي على جميع ممثلي الحكومة في الخارج من السفراء وكان واجبهم اخبار الحكومة بكل ما يهمها بواسطة الرسل

وحين فتح المسلمون الهند آثروا في حكمها النظام القديم، غير أنهم سدوا خلله وتمموا أوده، وقاموا فيه باصلاحات لا يستهان بها حيث أصبحت فيما بعد مصدراً للتقدم

أما استعلام الأخبار الخارجية فلم يغيروا نظامه بل أبقوه كما كان، واعتمدوا فيه مثل أسلافهم على التقارير واليوميات الشفهية المرسلة من ممثلي الحكومة في الخارج، وللسُّيَّاح والتجار، والحجاج، والوفود. فعلل ذلك أنه لم يكن عندهم حينئذ للامور الخارجية شأن يذكر لأنهم كانوا في مأمن من الهجوم الخارجي لقوتهم الوافية للذود عن حوزة مملكتهم ولعلاقتهم الحسنة مع الدول والحكومات المجاورة لهم

وأما استعلام الأخبار الداخلية فأبدلوا الشفهي من نظامه بالتحريري، وهو اصلاح ذو شأن عظيم، اذ الشفهي يسمع من القول الجزاف، والباطل الشاع، والظن المرجوم مما لا يسمه التحريري. أضف الى ذلك ما نجم عنه من الاصلاحات الهامة الأخرى في الادارة فانه اقتضى قبل كل شيء اختيار المخبرين والجواسيس من الطبقة المثقفة الراقية، فأتى بالتحول في أساليب الاستعلام وأزال عنها سوء الفهم، وروح التفريط وأدخل في روع الموظفين شعوراً قوياً للمسؤولية

على هذا النمط تقدم في عهد المسلمين ديوان الاستخبار الذي أنشأه الحكام الهنود الوثنيون قبلاً، فالمسلمون داروا سنده، وقوموا ميله، وسوَّوا زيفه جيداً بعد حين حتى بلغ في عهد الملك المغولي محي الدين عالمكير اورنك زيب مبلغاً من التقدم لا يعد كثيراً عن العصر الحاضر، لذلك أصبح ركناً هاماً لنظام المملكة. ولكي نلمس خطورة شأن هذا الركن يجدر بنا ان نحيط الشام عما كانت ادارته تنهض بأعبائه وما يتولاه أعضاؤها المختلفون من مهام

***

كانت الادارة تتكون من مناصب ووظائف هامة مختلفة ذوات واجبات خاصة يقوم بها أصحابها أعضاء تلك الادارة. واليك بيان أهم تلك المناصب والوظائف: —

١ — منصب «وقائع نكار» أو «وقائع نويس» أي كاتب الوقائع. وهو منصب الشيء في كل ناحية من نواحي البلاد وكان واجب صاحبه ان يرسل كل اسبوع بياناً عن تحصيل الجباية وتدبير الأراضي، وعن كل ما وقع في عمله من أمور البلاد وما يتبعها (١)

٢ — منصب «سوانح نويس» أو «سوانح نگار» أي كاتب الأخبار. وهو منصب الشيء في مراكز البلاد فقط. ومكانة هذا المنصب في رتب الحكومة هي أن صاحبه كان يقدر

ان يحشد عشرين عسكرياً[1] والفرق بين « وقائع نكار » و « سواغ نويس » هو ان الأول كان يقوم بواجبه غير متكر ويحتوي بياناته على الوقائع فقط . وأما الثاني فيحتوي بياناته على الوقائع والاخبار والاشاعات وغيرها . وكان يقوم بواجبه متنكراً لذلك سمي أيضاً « خفيه نويس » أي الكاتب السري . ولكن لم يبق تنكره فيما بعد حين استخدم في تدبير البريد الملكي وكان هذا المنصب تحت تصرف « داروغهٔ دائك » أي مدير البريد للمملكة بأسرها[2]

٣ — وظيفة « هركاره » أي الجاسوس . وواجب صاحبها تقديم التقارير عن أخبار منطقته الى مدير أنيبه . والمدير كان يرسلها داخل ظرف في « تلوه دائك » أي أنبوبة البريد الى « داروغهٔ هركاره » أي مدير الجواسيس في الديوان الملكي . وكان هؤلاء « هركاره » منتشرين في البلاد من أقصاها الى أقصاها وعددهم كان يربي على أربعة آلاف[3]

٤ — منصب « داروغه هركاره » أي مدير الجواسيس . وواجب صاحبه أن يتسلم من هركارهات (أي الجاسوس) جميع أصناف المعلومات عن البلاد سواء أكانت من قبيل الوقائع أم الاشاعات أم الأخبار أم غيرها ثم يقدمها الى الملك . وكان هذا المنصب في مملكة ناغز وجاه كبير لما كان يحوزه صاحبهٔ من اعتماد الملك العظيم وثقته ورضائه[4]

٥ — وظيفة « ميوره » أي الساعي . « وميوره » لقب لسكان ميوات ناحية من نواحي الهند في ذلك الزمن والآن يسمى هؤلاء « ميواتي » وأطلق هذا الاسم على الساعي لأنه لم يكن يعرف بها الا هؤلاء لشهرتهم في سرعة الجري والنشاط في العمل ولقيامهم بأعمال الواجبات بسهولة[5]

٦ — منصب « داروغه دائك » أي مدير البريد . وصاحبه كان رئيساً « لبوركات » أي لسعاة الذين كانوا يحملون البريد من مرحلة الى مرحلة . وكذلك كان يرأس كتّاب اليوميات الرسمية و محرريها[6]

٧ — منصب « وقائع خوان » أي قارىء الوقائع . وواجب صاحبه ان يقرأ للملك التقارير المرسلة من جميع نواحي البلاد والمقاطعات . لذلك لم يكن يعين فيه إلا أكثر الرجال علماً واطلاعاً بكتابة و تحريرهم نسباً[7]

[يتبع]

---

[1] كان له في ذلك الزمن راتب أو اكثر حسب حكومته ووظيفته . وقد تقرر في عشد [illegible] من [illegible] التاريخ بمرآت أحمدي بجملة [illegible]

[2] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[3] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[4] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]